كتاب سيبويه في الدراسات الغربية المعاصرة
ميكائيل كارتر نموذجا

محمد الوحيدي
أستاذ مشارك للغة واللسانيات
جامعة مولاي إسماعيل-المغرب

تقديم

لا يخفى أن اهتمام الغرب (أوروبا تحديدا) بدراسة العربية قديم؛ إذ يتلازم ونشوء ما يسمى الاستشراق، الذي ارتبط بميلاد الوعي بالذات وبالآخر (العالم الإسلامي). وقد تجسدت هذه العناية في السعي إلى تعلم اللغة العربية وتدريسها، لأن ذلك كان الوسيلة الوحيدة لمعرفة هذا الآخر وتراثه. وقد ازداد الاهتمام بتاريخ الدراسات العربية في أوروبا منذ العمل الرائد الذي قدمه يوهان فُك[1]؛ حيث سعى الكثيرون إلى كشف الدواعي العلمية (البحثية) والإيديولوجية التي جعلت الغربيين يهتمون بدراسة العربية منذ أن قدَّم بطرس المبجَّل أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية، وكذلك القيمة المعرفية لتلك الدراسات.

وقد كان التراث النحوي في صلب هذه الدراسات؛ لذلك أولى المستعربون أهمية لكتب النحو العربي ترجمة وتعليقا. ثم عملوا على صناعة كتب

(1) يظل كتاب البروفيسور يوهان فُك(*Die Arabischen Studien in Europa : bis in den Anfang des 20 Jahrhunderts*) أوفى دراسة تستقصي تاريخ الدراسات العربية فى أوروبا منذ القرن الثانى عشر الميلادي إلى بداية القرن العشرين. وبالرغم من قيمة الكتاب، فإن الترجمتين العربيتين التى اطلعت عليهما لا تعكسان، في رأيي، القيمة التاريخية والمعرفية لمضامين هذا الكتاب.

نحوية خاصة بهم تساعد الطالب على تعلم العربية. وقد اشتد الاهتمام بالتراث النحوي في الدراسات الغربية المعاصرة، بدراسة تاريخ النحو العربي، وأعلامه، وكتبه، وقضاياه. ولا شك أن دواعي هذا الانشغال لم تعد هي نفسها التي كانت وراء دراسة العربية وعلومها في بداية النهضة الأوروبية والقرون التي تلتها؛ إذ أصبح الجانب الأكاديمي أقوى وأجلى عبر التركيز على الجوانب التاريخية والمنهجية والمعرفية التي تثيرها الدراسات النحوية.

تروم هذه الورقة إضاءة بعض مظاهر اهتمام الغربيين بالنحو العربي. وقد اخترنا الأدبيات التي اهتمت بالنص المؤسِّس للنحو العربي، "كتاب" سيبويه. لقد شغل سيبويه وكتابه موقعا محوريا في الدراسات الغربية للتراث النحوي العربي؛ إذ يعد نصا نموذجيا لطرح المشكلات التاريخية والمنهجية التي ترتبط بنشأة الدراسات اللغوية عند العرب، وطبيعة أصولها ومبادئها، وقيمتها المعرفية. ويعد المستشرق الإنجليزي ميكائيل كارتر أحد أهم الباحثين الغربيين الذين درسوا سيبويه؛ إذ كرس له حياته المهنية والعلمية حتى عُدَّ أحد المختصين فيه.

والورقة منظمة على النحو الآتي: في الفقرة الأولى سنتحدث عن مظاهر عناية الغربيين باللغة العربية ونحوها منذ عصر النهضة. ثم نتناول في الفقرة الثانية اهتمام الدارسين الغربيين بكتاب سيبويه واحتفاءهم به، شرحا وتعليقا وترجمة. وفي الفقرة الثالثة سنعرض القضايا التي عالجها ميكائيل كارتر في دراساته المتنوعة لسيبويه والكتاب. ثم نختم ببعض الخلاصات.

1. عناية المستعربين الغربيين بالعربية والنحو

1.1. تعلم اللغة العربية وتعليمها في أوروبا

نشأت بين العالم الغربي والحضارة العربية الإسلامية علائق متشابكة ومتعددة الجوانب. ولم تكن الحروب الصليبية وحروب الاسترداد إلا جزءا من

القصة؛ "فإذا كانت هذه الفصول وأشباهها مصدرا لكثير من العداء للإسلام، فقد كان هناك تقريبا تيار خفي من الرؤى المتصارعة التي تدفقت نحو أوروبا لتحسين التقليد المهيمن. لقد كانت للسفراء، والتجار، وعلماء الدين، والفنانين، والشعراء، والناس من كل الطبقات، والحجاج، والرقيق، روابط مع الشرق، وأولئك الذين عادوا إلى الديار حملوا معهم قصصا من الإعجاب والكراهية"[2].

ويرجع اهتمام الغربيين باللغة العربية والإسلام إلى القرن الثاني عشر الميلادي، تحديدا عندما قام بطرس المبجَّل (1092–1156 م) Petrus Venerabilis بنقل القرآن الكريم إلى اللاتينية (1143 م). وقد شهد القرن الثالث عشر الميلادي محاولات كثيرة في هذا الباب، من قبيل وضع معجم لاتيني–عربي، أو معجم مفردات اللغة العربية. لقد كان اهتمام الغرب باللغة العربية في بادئ الأمر لأسباب تبشيرية؛ إذ كان جل الذين اهتموا بالعربية رجال دين مسيحيين، أمثال ريموندوس مارتيني، وريموندوس لولوس، ويبدرو ألَكالا، الذي نشر سنة 1505م معجما عربيا- إسبانيا ونحوا للعربية موجَّهين للعمل التبشيري بين المسلمين الذين كانوا يُكرَهون على اعتناق المسيحية بعد سقوط غرناطة. لكن هذا الاهتمام لم يتحول إلى دراسة اللغة العربية دراسة فيلولوجية، واكتفى الغربيون بنقل الكتب العربية إلى اللاتينية في مجالات الطب، والفلك، والفلسفة، لأن العرب حافظوا على التراث الإغريقي، وكانت كتبهم سبيل الغربيين إلى معرفة ذلك التراث[3]. لقد تعزز الاهتمام باللغة العربية ذاتها مع نشوء الحركة الإنسية في إسبانيا وإيطاليا. وساهم ظهور حروف الطباعة العربية في تعزيز هذا التوجه؛ حيث قامت مطبعة المِديتشي بنشر كثير من المؤلفات العربية من قبيل *القانون* لابن سينا، *والعناصر* لأُقليد، ومؤلفات ابن رشد.

(2) David Blanks and Michael Frassetto, 1999 "Introduction", In David Blanks and Michael Frassetto (Eds.) *Western Views of Islam*, New York: St. Martin's Press, p. 2 .

(3) يوهان فُك **الدراسات العربية في أوروبا**، ترجمة سعيد بحيري ومحسن الدمرداش.

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر زاد نشاط المستعربين واهتمامهم باللغة العربية. وقد كان للمسلمين الذين يقعون أسرى في أيدي الأوروبيين دور محوري في هذه الحركة. يقول روبرت جونز في هذا الخصوص:

"في زمن كانت فرص اللقاء بشخص له معرفة بالعربية محدودة للغاية، و[كانت] حتى فرصةُ القدرة على استعمال شخص يستطيع إنجاز نسخة موثوقة لنص عربي مهم بعيدةً، كانت أخبار وصول أسير مسلم إلى بلاط أوروبي مصدر إثارة بين المستعربين. ليس فقط لأن هناك إمكانية تعلم شيء من العربية من الأسير، بل لأنه قد يكون قادرا على تقديم خدمات كاتب أيضا. فضلا عن هذا، إذا تم إقناعُه بالتخلي عن عقيدته أو إكراهُه على ذلك وتعميدُه، يمكنه أن يبلغ جمهورا أوسع من الأوروبيين باعتباره مسيحيا أكثر مما يستطيعه مسلما، لأن معرفته وأفكاره قد يتم نشرها"(4).

إضافة إلى ذلك، أسهم المسلمون الزائرون لأوروبا بحظ وافر في هذا الخصوص؛ حيث كان لسفارات المسلمين في أوروبا دور كبير في تعليم العربية للمستعربين. يشير روبرت جونز إلى أن البعثة الديبلوماسية التي أرسلها السلطان المغربي أحمد المنصور الذهبي السعدي إلى إنجلترا سنة 1600 كانت فرصة سانحة بالنسبة للمستعرب البريطاني ويليام بيدويل William Bedwel لتطوير معرفته بالعربية. كما أن سفارة السلطان مولاي زيدان السعدي إلى هولندا سنة 1609 ضمت شخصيات كان لها صلات بالمستعربين الغربيين، نذكر منهم محمد بن عبد العزيز الثعالبي، وأحمد بن قاسم الحجري (المعروف بأفوقاي) صاحب الرحلة الشهيرة "رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب"، التي اختصرها باسم "ناصر الدين على القوم الكافرين". لقد كانت لهؤلاء المسلمين صلات وثيقة بالمستعربين ساعدتهم على تنمية معارفهم بالعربية. وهكذا تشير

(4) Robert Jones, 1988 *Learning Arabic in Renaissance Europe*, Unpublished Doctoral Dissertation, London University. p 64 .

كثير من المخطوطات الأوروبية إلى تعاون أحمد بن قاسم الحجري مع كثير من المستعربين الغربيين أشهرهم طوما الإربيني (1584–1624) Thomas Erpenius[5].

وهكذا أقبل الغربيون على تعلم العربية، يستغلون كل فرصة تسنح لهم لتعلم العربية أو تطوير معرفتهم لها. وتذكر الدراسات رحلة سليمان بن يعقوب الشامي الصالحاني، المعروف بسليمان الأسود Solomon Negri (1656–1727)، في نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر، الذي ارتحل من دمشق إلى أرجاء أوروبا يعلِّم العربية للدارسين والباحثين أمثال لويس بيكي، فريديريك روستغارد، كرستيان بنيديكت ويوهان غالينبيرغ.

ولم يقتصر الاهتمام بالعربية تعلما وتعليما على العمل المؤسسي من خلال تأسيس مراكز للدراسات العربية في لايدن، وكمبريدج، وأكسفورد وباريس، بل كانت هناك طرق أخرى، على هامش العالم الأكاديمي، لتعلم العربية عبر نوع من التعليم الفردي أو الخاص أو ما يسمى "مجموعات الدعم المتبادل" (في إنجلترا مثلا)، وهذا يدل على أنه كانت "هناك مجالات أوسع من الفرص لتعلم هذه اللغة أكثر مما افتُرِض سابقا"[6].

لقد سعى المستعربون الأوروبيون إلى توسيع دائرة الذين يعرفون العربية، وكرسوا جهودهم لهذه الغاية. وهكذا ألقى طوما الإربيني في 5 نوفمبر 1620 خطبة بعنوان "حول قيمة اللغة العربية" يبرز فيها قيمة العربية ويحث الناس على تعلمها. يقول مخاطبا جمهوره:

"أعرِضوا عن أولئك الذين يبثون الفرقة بيننا ويسعون لإبعادكم، بزعم صعوبات خيالية، عن دراسة هذه اللغة البديعة. أعترف أنها كانت، من قريب، تطرح علينا صعوبات. لكن ذلك كان لأن الوسائل الضرورية القواعد، المعلمين، والكتب كانت مفقودة. لكن الآن أرجو أنكم لن تشكوا من قلتها. من

(5) *Ibid*. p 101 .
(6) Jan Loop, 2017 b. “Introduction”, p. 2.

أجل ذلك، اِبدأوا ذلك الآن أيها السادة: انتبهوا لهذه الدراسة النبيلة، امنحوها سويعات كل يوم، وتأكدوا أنه بعد أشهر قليلة سوف أستدعيكم لتشهدوا بالأشياء التي قلتها آنفا" (7).

من أجل بلوغ هذه الغاية، وضع طوما الإربيني برنامجا بيداغوجيا لتوفير الوسائل الديداكتيكية الضرورية لتحقيق هذه الغاية؛ حيث نشر النحو العربي *Grammatica Arabica*، وملحقا للمعجم العربي *Lexicon Arabicum* الذي وضعه فرنسيسكوس رافائيلوجينوس. ثم نشر أول طبعة نقدية لكتاب الأمثال العربية *Proverbia Arabica* مع ترجمتها اللاتينية والتعليق عليها (8). وقد كان ذلك جزءا من حركة واسعة اهتمت بالنحو العربي تواصلت حلقاتها منذ القرن السادس عشر إلى اليوم.

2.1. النحو العربي عند الغربيين

كان الإقبال على تعلم اللغة العربية أحد الأسباب التي جعلت المستعربين الغربيين يتوجهون نحو إنشاء كتب للنحو العربي تسهل عملية التعلم والتعليم. لذلك عملوا على التعريف بالنظام النحوي للغة العربية. وقد سلكوا في ذلك إحدى طريقتين: الأولى هي إصدار كتب النحو العربي أو نقلها إلى اللغات الأوروبية، بدءا باللاتينية ثم اللغات الأوروبية الأخرى لاحقا: الفرنسية، والإنجليزية والألمانية. فخلال ثلاثة قرون من الاستشراق الأوروبي، بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر، قام ثمانية من المستعربين الغربيين بنشر وترجمة عشرة كتب نحوية إلى اللغات الأوروبية الرئيسة (9).

(7) Thomas Erpenius, «on the Value of the Arabic Language», Robert Jones (Trans.) *Manuscripts of the Middle East*, I, p 25.

(8) Arnoud Vrolijk 2010 .The Prince of Arabists and His Many Errors, *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes*, Vol. 73, p 297.

(9) Gérard Troupeau, «Les arabisants européens et le système grammatical arabe». *Histoire, Épistémologie Langage*, tome 2, fascicule 1, 1980. Pp 3-7.

وقد لاحظ تروبو أن الكتب التي تم نشرها أو ترجمتها كليا أو جزئيا إلى اللغة العربية تعود إلى نحويين متأخرين، باستثناء الكتاب لسيبويه؛ إذ لا نعثر بينهم على أي كتاب نحوي من العصر الذهبي للنحو العربي [10]. لذلك "اتسمت المعرفة التي كانت للمستعربين الأوروبيين بكتب النحو العربي، حتى بداية القرن العشرين، بكونها مبتسرة إلى حد بعيد وغير كافية لتعطي فكرة دقيقة عنها" [11].

علاوة على ذلك، اتبع المستعربون الأوروبيون طريقة ثانية للتعريف بالنظام النحوي للغة العربية، تمثلت في تأليف أنحاء للغة العربية. وهكذا ظهرت الأنحاء الأولى للغة العربية في اللغات الغربية في القرن السادس عشر. وقد كانت أول محاولة في هذا الباب عمل راهب مغمور يدعى بيدرو دي ألَكالا الذي نشر سنة 1505م كتابا قصيرا بعنوان "فنون معرفة اللغة العربية بسهولة" (*arte para ligeramente saber la lengua arauiga*). وقد خصصه للهجة غرناطة ولم يتقيد فيه بنظام النحو العربي، بالرغم من علمه بالنحو العربي؛ بل عمل على تطبيق مقولات نحو اللاتينية على لهجة غرناطة. لذلك من الصعب القول إنه يمثل أو نحو غربي للعربية الفصيحة. ثم تلا ذلك النحو الذي نشره ويليام بوستِل سنة 1538م، لكنه يفتقر إلى معرفة صلبة باللغة العربية مثلما لاحظ ذلك يوهان فوك. بالرغم من مظاهر القصور البينة في هاتين المحاولتين، فإنهما أسهمتا في تأسيس الدراسات العربية في الغرب.

وقد شهدت القرون الثلاثة اللاحقة، أي بين القرنين 17 و19، الفترة الحقيقية التي ازدهرت فيها الأنحاء الغربية للغة العربية. وهكذا نشر طوما

(10) من أكثر الكتب التي نقلت إلى اللاتينية الأجرُّومية، وتفسير ذلك أن الغاية التعليمية فرضت الاهتمام بكتب نحوية صغيرة في النحو والتصريف، مثل كتاب التصريف للزنجاني أو كتاب العوامل المائة للجرجاني؛ لأنها أيسر منالا. انظر مقالة تروبو السابقة.

(11) تروبو، «Les arabisants européens et le système grammatical arabe»، ص 3.

الإربيني (طوماس إربينيوس) بين 1613 و1636 ثلاثة أعمال تعد اللبنات الأولى للأنحاء الغربية في أوروبا: "*خمسة كتب في النحو العربي*" (1613)، "*أسس العربية*" (1620)، وأخيرا، أشهر كتبه "النحو العربي" *Grammatica Arabica* (1636). ويمثل هذا العمل الأخير نقلة نوعية "لأن الإربيني غيَّر طريقته الأصلية التي كان يكتفي فيها بترجمة النظام إلى ما يقابله في اللاتينية إلى إعادة صياغة جذرية للبنية العربية من أجل أن تتلاءم والنماذج الاكلاسيكية المفروضة في الأنحاء الإغريقية واللاتينية. وقد جعل هذا التغيير العربية مفهومة أكثر للقارئ الغربي الذي اعتاد سلفا على النظام المستخدم في تدريس اللغات الاكلاسكية" (12).

ظل نحو طوما الإربيني أساس الدراسات العربية في الغرب طيلة القرنين التاليين؛ حيث تمت ترجمته إلى اللغات الأوروبية، وظل نموذجا يحتذيه كل الذين كتبوا أنحاء غربية للنحو العربي. ومن أمثلة ذلك الأنحاء التي صنعها يوهان هيرت (1770)، والترجمة الإنجليزية التي قدمها جون ريشاردسن له (1776)، والنحو الذي كتبه يوهان ياهن في الألمانية (1796). مع بداية القرن التاسع عشر، بدأت تتبلور معالم المدرسة الفرنسية للاستشراق، وقد انعكس ذلك في الدراسات العربية التي انطبعت إلى حد بعيد بعمل البارون سِلفِستر دي ساسي Silvestre De Sacy الذي كان له تأثير كبير على الدراسات النحوية العربية طيلة ذلك القرن (13).

إضافة إلى نشر نصوص من التراث النحوي العربي بعنوان "أنطلولوجية النحو العربي" (14)، ألَّف دي ساسي "النحو العربي" *La Grammaire Arabe*،

(12) Carolyn Killean, 1984 «the development of western grammars of Arabic», Robert Jones, p 223.

(13) نفسه، ص 224.

(14) Silvestre de Sacy, *Anthologie Grammaticale Arabe*, 1829. Paris.

الذي يعد أول كتاب فرنسي في النحو العربي. ولعل أبرز سمات هذا الكتاب أنه يلائم وصف ومصطلحات النحاة العرب المعروفين لديه. ولا تخفى الغاية التعليمية من هذا الكتاب؛ إذ وجهه للطلبة المقبلين على تعلم العربية.

لقد شهد القرن التاسع عشر إنشاء الغربيين مصنفات كثيرة في النحو العربي. ويعد النحو الذي ألفه كاسباري من أهم الإسهامات في هذا الباب. فهو يمثل مزجا لأجود العناصر في كتب من سبقوه. وقد أعيد نشر نحو كاسباري – الذي نشره باللاتينية– في الألمانية، ثم نقله رايت Wright إلى الإنجليزية بين 1859 و1862. ولعل الميزة الجوهرية لهذه الأنحاء التي أُلِّفت في الغرب في النصف الثاني من القرن 19 أنها تعكس فصلا متناميا بين نمطين من التحليل. أحدهما يعتمد التقليد النحوي العربي الأصلي؛ والآخر يقوم على اعتماد الكتابة العربية الفعلية –شعرا أو نثرا – في صياغة النحو العربي. وهكذا تم التخلي عن نسق النحاة العرب لصالح بحث فيلولوجي مستقل يتجاهل التحليلات السابقة للغة العربية [15]. وتمثل الأنحاء التي ألفها المستشرقون الألمان على الخصوص، نذكر من هؤلاء نولدكه، بروكلمان، وريكندورف، نموذجا واضحا لهذا التوجه [16].

وجملة القول، لقد حاول المستشرقون الغربيون بدايةً فرض النسق اللاتيني–الإغريقي ومصطلحاته على النحو العربي. ثم أدركوا لاحقا ضرورة الفصل بين وصف العربية على أساس تحليلات تقوم على المصطلحات اللسانية الغربية والوصف الذي يعتمد تحليلات النحاة العرب. لكن المستشرقين الغربيين منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اعتبروا أن كتابة نحو غربي للغة العربية لا تقتضي اعتماد القواعد التي صاغها النحاة العرب، بل إن كتابة نحو مرجعي للعربية يتطلب الرجوع إلى اللغة العربية من خلال النصوص العربية. وهذا واضح في الأنحاء التي ألفت في ما يسمى "العربيةُ المعاصرةُ" *modern literary Arabic*.

(15) Killean, western grammars of Arabic, p 22.8
(16) *ibid* p. 228-229 .

2. سيبويه في الدراسات الغربية

1.2. دراسة التراث النحوي العربي

تركز اهتمام المستعربين الغربيين على توفير الأدوات البيداغوجية التي تيسر لطلاب الدراسات العربية في المراكز الغربية تعلم العربية. لذلك كان التوجه العام هو ترجمة بعض المؤلفات النحوية الأساسية وصياغة أنحاء غربية للغة العربية لهذه الغاية. غير أن القرن العشرين شهد تحولا في اهتمام الدارسين الغربيين بالتراث النحوي العربي؛ حيث اتجه كثير من المستعربين إلى دراسة هذا التراث النحوي وتحليله. وقد كانت وراء هذا الاهتمام دوافع كثيرة تتمحور حول القيمة التاريخية والمعرفية لهذا التراث النحوي.

لقد أدرك كثير من الدارسين الغربيين أهمية النظرية النحوية العربية التقليدية، باعتبارها "إحدى التقاليد (=الأدبيات) الكبرى في تاريخ اللسانيات؛ لكنها ما تزال مجهولة للسانيات الغربية الحديثة" [17]. لذلك سعوا "إلى "تقديم هذا التقليد النحوي ليس فقط بتلخيصه، بل بوضعه في سياق يجعله متاحا لأي لساني تلقى تكوينه في اللسانيات المعاصرة" [18].

وإذا كانت الدوافع الشخصية تفسر اهتمام كثير من الدارسين بالتقليد النحوي العربي، فإن هذا الانشغال تفسره رؤية لهذا التراث وخصائصه. في هذا الخصوص، يشير كيس فرشتيغ إلى السمات المحددة للتراث النحوي العربي التي حملته على الاهتمام به، وهي: الاستقلال/ الأصالة، التسامح تجاه الاختلاف، والاستمرارية/ التجانس[19]. ويمكن التمييز بين منظورين في مقاربة التراث النحوي العربي القديم. يقوم الأول على التحليل التاريخي "الذي يكتفي بدراسة تطور النظريات في السياق الاجتماعي، ومحتوى المصطلحات، ومسألة التأثير

(17) Jonathan Owens, 1988 *The Foundations of Grammar*, Amsterdam: John Benjamins, p 1.
(18) *Ibid*. p 1.
(19) Kees *Versteegh* 1988 «Pourquoi Etudier la Tradition Grammaticale?», p 2.08

الخارجي، وتماسك النظريات، دون الانشغال بمسألة الحقيقة" [20]. في هذا التصور، ليس الغرض تقييم النظريات النحوية وصحتها، بل فهمها في إطار السياق التاريخي الذي نشأت فيه.

خلافا لهذا الموقف، يميل بعض المستعربين الغربيين إلى التعامل مع التراث النحوي العربي باعتبار القيمة المعرفية لنظرياته. فهم يدرسون النحو العربي "ليَفِيدوا منه مباشرة، بأن يأخذوا منه معرفة صحيحة باللغة العربية وتحليلا أحسن مما تقدمه الأنحاء الأوروبية"[21]. وهكذا يكون الهدف من وراء دراسة الأدبيات النحوية القديمة "إجراء مقارنة بمناهج اللسانيات المعاصرة ونتائجها. من ثَم، يُعتقَد أنه يمكن أن نجد في التراث النحوي تحليلات شبيهة ب[تحليلات] اللسانيات المعاصرة، أو تحليلات أكثر نجاعة واقتصادا" [22]. بهذا المعنى، فالتقليد النحوي العربي القديم بالرغم من قدمه، ليس مفصولا أو مفارقا زمنيا، بل إنه ما يزال أساسا للممارسة النحوية العربية في العالم العربي وفي الترجمات الغربية [23].

في هذا الخصوص، يدافع جوناثان أوينز في دراسته للتراث النحوي العربي القديم عن القيمة الإجرائية والتحليلية لكثير من المفاهيم والأدوات النحوية العربية. وهكذا يفترض أن التحليل التركيبي في النظرية النحوية القديمة يتأسس على ثلاثة عناصر أو مسلَّمات: أ) تشكل الوحدات فئات أو طبقات كلمات قائمة على علاقة الاستبدال؛ ب) تمثل مواقع الاستبدال وظائف نحوية؛ ج) ترتبط الوظائف النحوية فيما بينها بعلائق تبعية *dependency relations* تحدد الحالات الإعرابية وعلاماتها. إن هذا التحليل يجعل "الممارسة

(20) *Ibid*, p 21.3
(21) Kees *Versteegh* 1988 «Pourquoi Etudier la Tradition Grammaticale?», p 212.
(22 (*Ibid*, p.213
(23) Johnathan Owens 1997 «The Arabic Grammatical Tradition», p 46.

النحوية العربية تبدو شبيهة بالبنيوية "المتبصرة" لأن النظرية النحوية المعاصرة تنهض في الحقيقة على الأساس نفسه الذي يشكل عماد النظرية العربية" [24]، [25].

2.2. سيبويه حارس اللغة وواضع النحو

انشغلت الأدبيات الغربية بأعلام الفكر اللغوي، لكن لا أحد يضاهي الاهتمام الذي لقيه سيبويه بين الباحثين الغربيين، باعتباره الوجه الأشهر في تاريخ الثقافة الإسلامية. ويرجع ذلك إلى دوره المحوري في تاريخ الثقافة العربية باعتباره المؤسس الفعلي للنحو العربي، بل الفكر اللغوي بوجه عام. وهو يكاد يحجب الدور الذي قام به أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي في تاريخ التفكير اللغوي، لولا أن هذا الأخير ارتبط أكثر بدوره في إقامة علم العروض وتأسيس المعجميات العربية، من خلال معجم العين.

وتكشف أدبيات الغربيين –صراحة أو ضمنا – عن دوافع هذا الاهتمام. وهي ترتبط على العموم بالموقع المركزي للمؤلَّف الوحيد الذي تركه سيبويه – الكتاب– الذي قام به في تاريخ التفكير اللغوي العربي، بل الفكر الإسلامي. فالتقليد النحو العربي في تاريخه ليس إلا استمرارا وتوسيعا لما أصَّله سيبويه في الكتاب. علاوة على هذا، يشير كثير من الدارسين إلى الدور الذي قام به سيبويه في تدوين اللغة العربية، نحوها وصرفها وأصواتها، ومعيرتها. فالكتاب ليس مصدرا للتحليل النحوي/التركيبي للغة العربية فقط، بل هو مصدر للمتن اللغوي نفسه الذي دونه سيبويه –نقلا عن أساتذته وعن الرواة – في الكتاب.

(24) *Ibid*, p.51

(25) شكلت هذه المسألة موضوع جدل بين اللسانيين العرب المعاصرين. وهكذا ذهب البعض إلى أن التراث النحوى القديم يتضمن عناصر ما تزال صالحة لوصف العربية المعاصرة، فضلا عن قيمته المعرفية (مثلا تحليل أحمد المتوكل للتراث النحوى والبلاغى باعتباره وظيفيا فى جوهره). بالمقابل، يعتبر فريق آخر أن هناك قيمة تاريخية للفكر النحوى العربى القديم، لكن لا ينبغى إسقاط هذه التحليلات على الوصف اللسانى المعاصر للغة العربية، لأن هذا سوف يسقطنا فى نوع من اللاتاريخية *anachronism* (انظر عبد الفاسي الفهري بخصوص هذا الموقف).

في هذا السياق، انتبه فلوريان كولَمَنز إلى هذا الجانب فيما قام به سيبويه، وجعله ضمن أبرز الوجوه أو الأصوات التي عملت على حماية اللغة؛ فسيبويه بهذا المعنى أحد حراس اللغة *guardians of language* الذين حفظوا اللغة. لقد انشغل سيبويه "بتنظيم معطياته نسقيا واستخراج الاستخدام الصحيح منها، وقد كانت غايته من تأليف كتابه أكاديميةً تماما" (26). وهكذا يدخل ما قام به سيبويه في مجال السياسة اللغوية؛ فهو "لم يوفر فقط أداة ضرورية للسياسة اللغوية، لكنه، عبر تأسيس اللغة المعيارية على أقدم لهجة في صحراء البادية، حدد المسار الذي ينبغي أن تتبعه السياسة اللغوية للعربية" (27).

لقد جمع سيبويه متنا ضخما لا يدانيه في شموله عمل آخر. لكن ما جعل الكتاب عملا مرجعيا لا يمكن لأحد الاستغناء عنه إلى اليوم ليس فقط حجم المعطيات التي يتضمنها، ولكن أيضا البنية النسقية المتماسكة، وطريقة الاستدلال والبرهنة. لقد كان وصفه لخصائص اللهجات العربية القديمة مقنعا وقويا؛ إذ يمكن الوقوف على هذه السمات في اللهجات العربية المعاصرة. لقد لعب سيبويه، ومعجم الخليل، دورا محوريا في ترميز اللغة العربية ومعيرتها ما يزال أثره قائما إلى اليوم. علاوة على ذلك، تمثل اللغة التي دونها سيبويه في الكتاب شاهدا على إحدى مراحل تطور اللغة العربية في تاريخها الطويل. لذلك عَدَّ أوينز سنة 790م – وهو التاريخ الذي كان فيه سيبويه ما يزال حيا – نهاية ما يسميه طور اللغة العربية ما قبل الانتشار أو التوسع *pre-diasporic Arabic*؛ لأن سيبويه كان شاهد عيان على هذه المرحلة. وهكذا يمثل سيبويه أساسا للمقارنة بين اللهجات العربية المعاصرة والمصادر العربية القديمة، لأنه أقدم مصدر للغة العربية المدونة (28).

لقد اكتسب سيبويه، عبر الكتاب، وضعه المركزي في تاريخ التقليد النحوي العربي لسببين: أحدهما أنه ترك متنا لغويا ما يزال مصدرا يعوَّل عليه

(26) Florian Coulmans, 2016 *Guardians of Language*, Oxford: Oxford University Press, p 26.
(27) *Ibid*, p.28
(28) Jonathan Owens, 2006 *A linguistic History of Arabic*, Oxford: Oxford University Press, p 3.

لمعرفة تراكيب اللغة العربية في عصره، وأساسا لاسترجاع سمات العربية التي مايزال بعضها حاضرا في اللهجات العربية المعاصرة. والآخر أنه شكل الأساس الذي قام عليه البناء النظري للتحليل النحوي في تاريخه الطويل؛ فما كتبه النحاة يمثل توسيعا وتطويرا لما صاغه سيبويه من قواعد ومبادئ لتحليل تراكيب اللغة العربية.

3.2. الكتاب في الأدبيات الغربية

يجمع كثير من الدارسين الغربيين المشتغلين بالدراسات النحوية العربية على القيمة العلمية والتاريخية *لكتاب* سيبويه؛ "فهو أحد الكنوز العظيمة للثقافة البشرية إذ ليس هناك شيء آخر يشبهه. وتقدم صفحاته الألف وصفا متطورا جدا ومفصلا لكلام العرب. وهو يمثل في منهجه نموذجا للصرامة العلمية، إذ يستقي حجته من عشرات اللهجات العربية ومتن مدون ضخم. وباعتباره عملا وصفيا تماما في شكله، تكشف مبادئه الضمنية المنظمة خيالا نظريا رفيعا للغاية وحساسية للحدس اللغوي" [29].

في هذا السياق، تشير برناردز Bernards (1992) إلى سمتين تحددان التقليد النحوي العربي: أولاهما مركزية كتاب سيبويه في الدراسات اللسانية العربية منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي). والثانية هي أن هذا التقليد يتمفصل حول مدرستين فكريتين نحويتين متنافستين: مدرستي البصرة والكوفة. فكتاب سيبويه يمثل على الأرجح أول نحو عربي يتضمن كل ظواهر ومظاهر التركيب والصرف (والصواتة). وتدل الاستمرارية بين سيبويه والنحاة من بعده على أنه لقي قبولا منهم من البداية باعتباره "التحليل النحوي بامتياز" وأنه لا يحتاج أن يضاف إليه أو يستدرك عليه.

لقد أسس سيبويه، عبر *الكتاب*، التقليد النحوي العربي بظواهره وتقسيماته ومصطلحاته وتحليلاته. من أجل ذلك، لا يمكن دراسة هذا التقليد

(29) Gregg Reynolds, 2011 *Re-imagining the Kitāb of Sībawayhi*, Draft, p 27.

دون العودة إلى المرحلة التأسيسية التي تكوَّن فيها النظام النحوي العربي. ولعل هذا ما يفسر اهتمام الأدبيات الغربية بسيبويه والكتاب. وقد انصب هذا الاهتمام على استكشاف مظاهر جديدة في نظريته، عبر فحص مصطلحاته، ومقولاته، والحجة اللسانية الإمبريقية التي يعتمدها في صياغة تحليلاته وقواعده. وهناك دراسات اهتمت بوضع سيبويه في سياق الميراث النحوي الذي تركه وتأويل وقراءة نسقه في ضوء النظريات المعاصرة.

يقارب انشغال المستعربين الغربيين بالكتاب القرنين منذ أن نشر البارون سلفيستر دي ساسي نصوصا منه في "*أنطلوجيا النحو العربي*" (*Anthologie grammaticale arabe*) سنة 1829. وقد كان هارتويغ درنبرغ Hartwig Derenbourg أول من نشر النص الكامل لكتاب سيبويه في باريس بين عامي 1881 و1889. ثم ظهرت ترجمة كاملة مع تعليقات في الألمانية على يد غوستاف ياهن (1895). ثم نشر جيرار تروبو (1976) معجمه المفهرس للكتاب الذي ما يزال مرجعا لا غنى للباحث عنه.

علاوة على نشر كتاب سيبويه وشرحه والتعليق عليه، ظل الكتاب موضوعا للدرس يجتذب اهتمام الدارسين الغربيين إلى اليوم. ونستطيع أن نكتشف ذلك في الأدبيات الواسعة التي صدرت عن سيبويه والكتاب سواء في سلاسل شهيرة، مثل تلك التي تصدر عن دار بريل للنشر، أو في المجلات الغربية المتخصصة في الدراسات العربية. وتتنوع القضايا التي تضعها هذه الكتابات على بساط البحث؛ إذ تلامس قضايا وأسئلة كبرى حول سيبويه والدراسات النحوية العربية بوجه عام، كما إنها تتناول مسائل جزئية دقيقة في الكتاب، الأمر الذي يكشف معرفة واسعة ودقيقة بالكتاب والنحو العربي القديم. ويمكن تلخيص أهم القضايا التي انشغلت بها الدراسات الغربية المعاصرة في ثلاث: 1) تاريخية كتاب سيبويه؛ 2) الكتاب وتكوُّن النحو العربي؛ 3) التحليل اللساني للكتاب.

من القضايا المثيرة للجدل تدوين الكتاب ومخطوطاته وطرق نقله؛ إذ إنها من الجوانب المثيرة والغامضة المحيطة بالكتاب غموض حياة سيبويه نفسه. ويمثل العمل الذي أنجزته جنيفييف أمبير Geneviève Humbert بعنوان "*طرق نقل كتاب سيبويه*" مرجعا أساسيا في هذا الباب. فقد عرضت لمخطوطات سيبويه وطرق انتقالها؛ حيث أحصت سبعا وسبعين (77) نسخة من مخطوطات الكتاب موزعة على المكتبات في أوروبا والهند والعالم العربي. وأحد الجوانب المشكلة في دراسة الكتاب هو التغير الملاحظ بين المخطوطات الكثيرة والطبعات المعروفة، منذ الطبعة الأولى لدرنبرغ. لذلك تسجل أمبير أن الكتاب، في المخطوطات، أقل ثباتا مما توحي به طبعاته؛ فالنص عرف حالات متتالية، وله تاريخ بدأ من وفاة سيبويه. لذلك ينبغي أن نتخلى عن فكرة أن يكون النص قد تم إقراره نهائيا (30).

في الاتجاه نفسه، انشغلت الدراسات الغربية المعاصرة بالدور الذي قام به سيبويه في المرحلة التكوينية للنحو العربي. وهكذا عالجت برناردز (1992، 1997) الدور الحاسم الذي لعبه أبو العباس المبرد في تلقي كتاب سيبويه وقبوله من قبل النحويين كسلطة علمية. وقد عملت على تسليط الضوء على هذه المسألة عبر رصد مظاهر التحول من نقد الكتاب وتحليلاته في كتابه "الرد على سيبويه" إلى قبوله بالكتاب وتكريسه له كمرجعية أساسية في التقليد النحوي العربي. لقد وضع المبرد بذلك نهاية لمحاولات التشكيك في سيبويه ونقده، ومهد السبيل إلى فهم أحسن لأفكار سيبويه والاعتراف التالي بميراث الرجل.

علاوة على الأهمية المركزية التي يطرحها كتاب سيبويه في سياق تكوُّن ومأسسة التقليد النحوي العربي، شُغِلت الدراسات الغربية بالقيمة المعرفية للتحليل اللساني الذي يتضمنه الكتاب. وقد عملت هذه المحاولات على إثبات مظاهر التوازي والتشابه بين النظرية اللسانية المعاصرة والتقليد النحوي الذي

(30) Geneviève Humbert, 1995 *Les Voies de Transmission du Kitāb de Sībawayhi*, Leiden: Brill, p 27.

طوره النحاة العرب القدماء. بعبارة أخرى، عمل الدارسون الغربيون منذ ميكائيل كارتر (1973) على موقعة النظرية النحوية العربية داخل إطار النحو الغربي المعاصر؛ إذ يمكن فهم التحليل النحوي القديم في ضوء هذا التصور. في هذا السياق، اعتبر جونثان أوينز أن هناك ثلاثة مفاهيم أساسية للنظر النسقي للتحليل النحوي القديم: *البنية*، *الفئة*، *والتبعية*؛ فالمفردات ترد في فئات في مواقع داخل البنية وترتبط فيما بينها تركيبيا بعلائق تبعية. وقد كان كارتر أول من نبه إلى إمكانية المقارنة بين التحليل السيبويهي والأدوات التحليلية في النظريات النحوية المعاصرة من قبيل الاستبدال والتحليل المكوني.

في الاتجاه نفسه، اعتبر بوهاس وجماعة في كتاب "التقليد اللغوي العربي" (*the Arabic Linguistic Tradition*) أن الفرضية التلفظية *enunciative hypothesis* تمثل عنصرا محوريا في منهجية سيبويه. فهي تقوم على عمليات ينجزها المتكلم للتأثير في السامع. وهكذا يتم تحليل العبارات لكشف أوجه الشبه والاختلاف بينها في ضوء العمليات التلفظية التي تتم على مستوى الإعمال والإلغاء والإعراب.

وجملة القول إن كتاب سيبويه أثار إعجاب الغربيين فمحضوه اهتمامهم وحرصوا على دراسته لاستكشاف أسراره وكنوزه، ومعرفة تاريخه باعتباره النص التأسيسي لتقليد نحوي له موقع مركزي في تاريخ الفكر اللغوي الإنساني. في الفقرة القادمة سنقف عند أحد نماذج هذا الاهتمام بهذا العمل الفريد، عبر عرض ما قام به ميكائيل كارتر، أشهر من اهتم بكتاب سيبويه بين الغربيين المعاصرين.

3. سيبويه والكتاب في دراسات كارتر

1.3. عناية كارتر بسيبويه: نظرة عامة

يعد ميكائيل كارتر Michael G.Carter واحدا من أشهر المستعربين الغربيين في القرن العشرين. اهتم كارتر، منذ منتصف الستينات من القرن

الماضي (تحديدا 1968 سنة مناقشة أطروحته حول كتاب سيبويه)، بالتراث النحوي العربي ترجمة ودراسة ونشرا. فقد انشغل بدراسة مظاهر مختلفة في النحو العربي وقضايا يطرحها تكوُّن الفكر النحوي العربي. كما أنه عمل على تقديم بعض نصوص النحو العربي، عندما قام بنشر كتاب *نور السجية في حل ألفاظ الأجرومية* لمحمد الخطيب الشِّربيني، وترجمه إلى الأنجليزية وعلَّق عليه[31]. لكن اسم كارتر ارتبط أكثر وبقوة بسيبويه.

يعترف كثير من الدارسين أن كارتر هو أفضل من تخصَّص من الغربيين في سيبويه؛ إذ لم يتوقف عن العناية به منذ أن أنجز رسالة خصصها لدراسة مبادئ التحليل النحوي عند سيبويه. وقد نشر كارتر أعمالا كثيرة متتالية حول الفكر النحوي وأسسه وآلياته عند سيبويه، فأنجز مقالات أكاديمية، ومداخل تعريفية في موسوعات مختلفة للتعريف بسيبويه وكتابه. ويعد كتابه *سيبويهِ* (كارتر 2004) خلاصة ما قدمه حول سيبويه؛ إذ يمثل تركيبا للأفكار التي طورها حول سيبويه والكتاب طوال أربعة عقود. ولا يخفي كارتر اقتناعه بأن سيبويه هو المنشئ الفعلي للنحو العربي، وأن كل ما جاء بعده سار على النهج الذي اختطه في الكتاب. وقد انشغل بطرح قضايا جوهرية في دراسة وتاريخ النحو العربي، من قبيل مسألة أصالته أو تأثره بمؤثرات خارجية، وسيرورة تكوُّنه، والمبادئ والأصول المنهجية التي قام عليها الكتاب، وقيمتها المعرفية والتاريخية.

يكشف كارتر في مقدمة كتابه عن سيبويه الأسباب التي جعلته يفتتن بما أنجزه إمام النحاة؛ إذ يرى أن السمات الفكرية الشخصية التي تمتع بها أهلته لأن ينجز أهم ما أبدعه الفكر العربي–الإسلامي: النحو. لقد كان سيبويه – في نظر كارتر – المؤسس الفعلي للنحو. يقول في هذا الخصوص: "سيبويه ليس فقط مؤسس النحو العربي، بل إنه أيضا [مؤسس] اللسانيات العربية، والأمران

(31) نشر كارتر النص وترجمته الأنجليزية سنة 1981 بعنوان ""*Arab Linguistics: An Introductory Classical Text with Translation and Notes*". واللافت للنظر أن التحقيق العربي لهذا النص لم يظهر إلا في السنين الأخيرة (سنة 2007)، عندما نُشِر النص بتحقيق الشيخ سيد بن شلتوت.

مختلفان. علاوة على هذا، تكشف كل صفحة في *الكتاب* بوضوح أنه كان عبقريا، [و] كان تصوره للغة ذا معنى كلي. وعندما نضع في الاعتبار أنه ربما لم يكن يتكلم العربية سليقة، إذ كان فارسي الأبوين، فإن ما أنجزه يبدو شيئا مدهشا للغاية".[32]

ولا يتوقف تأثير سيبويه عند النحو بمعناه المعياري؛ بل يخص كل جوانب الوصف اللساني. ويؤكد كارتر الطابع الوصفي للعمل الذي قام به سيبويه في *الكتاب*. وقد صدر في ذلك عن تصور للغة، بل نظرية للغة قبل التصدي للمعطيات والوقائع اللغوية من أجل اكتشاف المبادئ التي تنتظم تلك المعطيات. لذلك يعتقد كارتر أن "تحديد ووصف هذه اللغة في صورتها المثالية كان الإنجاز الأهم للكتاب الذي خلَّد سيبويه لاثني عشر قرنا، وما يزال الوثيقة التأسيسية لكل التطورات اللاحقة في اللغة العربية"[33].

2.3. الكتاب وتاريخية النحو العربي عند كارتر

لا شك أن لكتاب لسيبويه هو أول كتاب وضع في النحو. لذلك، ظل في صلب الجدالات حول مسائل تتصل بتاريخ النحو العربي ونشأته. ويشير كارتر إلى "أن ما يلفت النظر أن لا يكون -فيما يبدو- لعمل ضخم مثل *الكتاب* سوابق؛ إذ يصعب مقاومة الرغبة في البحث عن تأثيرات أو نماذج سابقة" [34]. في هذا الخصوص، تبنى تصورا يرى أن التأثير الخارجي -الإغريقي تحديدا- لا يمكن أن يفسر نشأة النحو العربي، وأن عوامل تخلُّقه كانت داخلية؛ حيث ربط أكثر بين النحو والفقه. علاوة على ذلك، يفترض أن الكتاب يمثل المرحلة النسقية في تاريخ النحو العربي.

(32) Carter, M.G, 2004 *Sībawayhi*, Oxford: Oxford University Press, p 1.
(33) *Ibid*. p.2
(34) *Ibid*. p.2

1.2.3. الكتاب وأصل النحو

يعد أصل النحو العربي من القضايا التي ما فتئت تثير الجدال بين الدارسين الغربيين. فقد افترض أغلب المستعربين أن العرب أخذوا النحو عن الإغريق (مباشرة أو من طريق السريان). ولعل ميركس Merx أول من صاغ افتراض الأصل الإغريقي للنحو العربي، عندما حاول أن يبرهن على أن النحاة العرب طوروا علم النحو باحتذاء النموذج الإغريقي الذي كان متاحا لهم عبر الرسائل المترجمة، تحديدا الترجمة السريانية لنحو ديونوسيوس دي ثراكس المعروف المسمى *Technē Grammaikē*. وقد عبر لِشتنشتاتر Lichtenstädter عن الفرضية الإغريقية *the greek hypothesis* حين أكد بكثير من اليقين "أن التصورات الأساسية لفقهاء اللغة العرب مأخوذة من النحو الأرسطي الذي انتقل إلى الفكر العربي عبر وساطة حقيقية للدارسين السريان" [35]. وبالرغم من أن كثيرا من الدارسين الغربيين المنصفين منذ أواسط القرن التاسع عشر أمثال إيفالد ورينان برهنوا أن هذا الزعم قائم على الجهل، فإن الفرضية الإغريقية ما تزال تجد من يدعمها ويدافع عنها [36].

ويعد كارتر أحد أبرز المستشرقين الذين تصدوا لدحض فرضية التأثير الخارجي في نشأة النحو العربي؛ إذ استدل على قصورها وتهافت الأسس والمزاعم التي تقوم عليها. في هذا الخصوص، يؤكد أنه "بالرغم من أنه قد يكون صحيحا أن بعض العناصر من الثقافة الإغريقية ربما تكون تسربت إلى النحو العربي، فإن كثرة المفاهيم والمصطلحات الفقهية والأخلاقية في أول كتاب للنحو

(35) *cited in* Carter, «The Origins of Arabic Grammar», p 1 .

(36) نشير ههنا إلى أن بعض المستشرقين الذين حملوا لواء فرضية التأثير الخارجي الإغريقي في النحو العربي قدموا مراجعة نقدية لمواقفهم. وهكذا لم يجد كيس فرشتيغ –وهو أحد أبرز الذين تبنوا فرضية التأثير الإغريقي– غضاضة في أن يعلن أن إحدى السمات الجوهرية التي تعرِّف النحو العربي هي استقلاله. فرغم كون التقليد النحوي قد يحوي بعض العناصر التي ترجع إلى التأثير الأجنبي، فإن تلك العناصر ظلت معزولة وأن دورها لم يكن حاسما أو جوهريا في تطور النحو العربي.

العربي (كتاب سيبويه) تدفعنا إلى البحث عن أصول النحو العربي في معجم ومناهج الفقه الإسلامي"[37].

يرفض كارتر الدور الإغريقي عبر الوسيط السرياني في نشأة النحو العربي، ويبرهن على أن الأطروحة الإغريقية، التي يصفها بأنها لاتاريخية، لا تتناقض فقط مع ما يعده أول كتاب للنحو العربي، بل تتجاهل حقيقة أن المصادر العربية سكتت تماما عن أي تأثير خارجي. بالمقابل يقترح أن تُرَدَّ أصول النحو العربي إلى العلوم الإسلامية، تحديدا (أصول) الفقه.

وهكذا يرجع كارتر تهافت الفرضية الإغريقية إلى جملة من العناصر نوجزها على النحو الآتي[38]:

أ) تقوم أطروحة التأثير الإغريقي على أساس تاريخي أساسه الترتيب التالي: نحو إغريقي <نحو سرياني> نحو عربي. لكن العرب طوروا نظرياتهم النحوية (على سبيل المثال التقسيم الثلاثي للكلم) قبل أن تصبح المؤلفات الإغريقية متاحة لهم. لذلك فافتراض التأثير الإغريقي سيكون لا-تاريخيا.

ب) تنهض هذه الأطروحة على حكم أوروبي مسبق غير مفهوم يرى في الإغريق مصدر كل تجديد علمي في العصر الوسيط. ويستندون في هذا الزعم على أن العرب اعتمدوا ابتداء من القرن التاسع على ترجمات التراث اليوناني في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك ونحو ذلك.

ج) من الأمور التي غفل عنها المدافعون عن ادعاء التأثير الخارجي أن المصادر العربية لم تشر إلى هذا التأثير؛ فلو كان هناك تأثير لما أنكرته المصادر العربية كما أشار إلى ذلك إرنست رينان.

د) لعل أكثر مظاهر قصور الفرضية الإغريقية وضوحا أنها لم تُعرَض على النحو العربي نفسه. فلم يعرِّف الهِلِّينيون نوع النحو الذي يزعمون أنه تم نقله من الإغريق.

(37) Carter, «The Origins» p 1.
(38) *Ibid.* p.5-4

انطلاقا من هذه الملاحظات، يرى كارتر أن المفاهيم الإغريقية ليست واردة تماما بالنسبة للنسق النحوي الذي بناه النحاة العرب منذ سيبويه، ليس لأن هناك فروقا بين اللغتين، بل لأن تصور سيبويه للنحو يختلف جذريا عن التصور الذي بناه الإغريق. من أجل ذلك، يقترح كارتر البحث عن أصول النحو العربي داخل النسق الفكري الإسلامي نفسه، عبر الاستدلال على ما يسميه رمزي بعلبكي الفرضية الفقهية *the legal hypothesis*. وهكذا أقام كارتر في كثير من دراساته علاقة وثيقة بين النحو و(أصول) الفقه؛ إذ يؤكد "أن النحو لا يكون له معنى إذا لم يتم ربطه بالجوانب العملية للنظرية الإسلامية أو بالسلطة التي كان يتمتع به النحاة داخل المجتمع الإسلامي. باختصار، يجب أن نعد النحو فرعا من الأخلاق، كما كان، على سبيل المثال، في المسيحية الوسيطة" [39].

يزعم كارتر أن هذه العلاقة الوثيقة بين النحو والفقه بدأت تجلياتها في أول كتاب في النحو، أي كتاب سيبويه. وهكذا يفترض أن المبادئ الأساسية للفقه الإسلامي قد تم تكريسها أيام سيبويه. وهذا يعني أنه كان في متناوله نسق كامل للتأمل المجرد في السلوك البشري، يمكن نقله إلى ميدان اللغة لينتج نظرية نحوية مقبولة. يمكن القول إذن إن سيبويه كان له الفضل في تنظيم المعطيات اللغوية في متن خاضع لمعايير تتجذر في الممارسة الفقهية.

لقد فحص كارتر الجهاز المفاهيمي الذي اعتمده سيبويه في الكتاب، فلاحظ فيه الأثر الفقهي الواضح. ويمكن أن نقتصر هنا على ثلاثة أدلة مصطلحية/ مفهومية تثبت الأساس الفقهي للنحو في تصور سيبويه:

1) المعايير الأربعة التي اعتمدها سيبويه لصحة الكلام (الحسن–القبيح–المستقيم–المحال) ذات طبيعة أخلاقية؛

2) يرد مفهوما المنزلة والموضع المرتبطان بالقياس الأصولي الفقهي في سياقات فقهية ونحوية؛

(39) Carter, «The Ethical Basis of Arabic Grammar», p 9.

3) توجد مفاهيم نحوية كثيرة (البدل، العوض، سعة الكلام، خيار، حد، حجة، أصل، دليل، نية...) يمكن أن تفهم في ضوء استخداماتها الفقهية.

تفيد هذه الحجج المصطلحية أن النحو العربي تأثر بالنسق الإسلامي الذي تخلَّق داخله، ومن ثم يمكن "أن نستنتج بشكل أكيد أنه إذا كانت المصطلحات المنهجية للتحليل النحوي اختراعا إسلاميا، فإن إمكانية التأثير الأجنبي في المصطلحات العربية، حتى لو تم إثباتها، تنحصر في عدد قليل من المصطلحات التي تعالج المقولات والأعراض" (40).

يشير كارتر (المرجع نفسه) إلى أن معرفتنا بالكتاب تمكننا من دحض نتيجتين نظريتين تقتضيهما الفرضية الإغريقية. إحداهما أن تأويل الهلِّينيين للنحو العربي يفترض علاقة سببية ضرورية بين الإغريقية والسريانية والعربية؛ وهذا يفتح الباب لمقاربة لاتاريخية للموضوع. والأخرى، وهي الأخطر، تقتضي أن النحو العربي برمته يعتمد على المبادئ الإغريقية. وهذا الخطأ يفسر كثيرا من الجهل والإحباط الذي نلاحظه في نقد *الكتاب*. علاوة على هذا، تعكس هذه الفرضية أيضا نوعا من الاحتقار للنحاة العرب الأوائل.

تقود هذه الملاحظات إلى أن النحو الذي تمثله سيبويه وتجسد في تحليله النحوي كان نتيجة لسيرورة داخلية للنسق الفكري الإسلامي، ولم يكن نتيجة احتذاء النموذج الإغريقي. ومن ثم لا ينبغي البحث عن مظاهر التأثير الخارجي الإغريقي في النحو في هذه المرحلة. ونستطيع أن نستنتج من هذا "أن بعض الأفكار الإغريقية دخلت في وقت لاحق إلى النحو العربي، لكن فقط بعد أن تم استيعابها داخل الفكر الإسلامي ككل، وكذلك نتيجة عجز العرب عن فهم الطبيعة الوظيفية للنسق النحوي عند سيبويه" (41).

(40) Baalbaki Ramzi, 2007 «Introduction», *The Early Islamic Grammatical Tradition*, p 9.
(41) Carter, «The Origins» p.5

2.2.3. الكتاب وتكوُّن النحو العربي

أثارت سيرورة تكوين النحو العربي جدلا واسعا بين الدارسين عربا وغربيين. وإذا كان لكتاب لسيبويه أول كتاب في النحو، فإن الجدل لم يتوقف حول مسألة ترتبط بهذه الفترة من تاريخ النحو العربي: من كان أول نحوي عربي؟ انشغل كارتر (1972 [2007]، 1985، 2004) بمعالجة هذه المسألة عبر دحض الفرضية الإغريقية، وأيضا عبر إعادة قراءة الفرضية القديمة التي تجعل أبا الأسود الدؤلي أو نحوي عربي. ويعتقد كارتر أن سيبويه "كان أول نحوي حقيقي" وأنه المؤسس الفعلي لعلم النحو. وقد اعتمد لدعم هذه الفرضية على فحص دلالة عبارة نحويون التي وردت في الكتاب. ولعل كارتر هو أول من أعاد تأويل هذه العبارة لإعادة صياغة التاريخ التكويني للنحو العربي في أطواره الأولى.

تبنى كارتر كما أسلفنا تصورا يدحض فرضية التأثير الإغريقي، وقد كان عليه أن يفحص دور *الكتاب* في سيرورة تكوين النحو العربي. يتأسس هذا التصور على تمييز ثلاثة أطوار في تكوين النحو العربي:

1) الطور الأول: يعود إلى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ويرتبط أساسا بتدوين النص القرآني ومبادئ الكتابة العربية.

2) الطور الثاني: يشمل المحاولات الأولى لبناء نحو عربي، ويمثله من يدعوهم سيبويه في الكتاب نحويون.

3) الطور الثالث: وهو المرحلة التي يجسدها النسق النحوي الذي وضعه سيبويه في الكتاب دون الرجوع إلى أي تقليد سابق.

يمثل سيبويه وفق هذا المنظور بداية الطور الثالث في تطور النحو العربي، أي طور النحو النسقي/ المنهجي. فالكتاب بهذا المعنى يعد أول كتاب في النحو؛ أما ما كان قبله، فلا يعدو أن يكون محاولات بدائية أو أولية. لذلك، يعتقد كارتر

أن سيبويه لم يعتمد في الكتاب على أي تقليد سابق في الدراسة النحوية؛ بل إنه كان أول عمل من نوعه وكان أثره حاسما فيما أعقبه. يقول في هذا الباب:

"المرحلة الثالثة للنحو هي تصور *الكتاب* وظهور النحو العربي كما نعرفه اليوم. فكل النحو العربي مشتق إما من *الكتاب* أو من التدريس الشفوي لمعاصري سيبويه. لكن الكتاب ليس نتاجا لتقليد من الدراسات النحوية، بل هو أول عمل من نوعه. ولهذا السبب يمكن أن نؤرخ للمرحلة الثالثة للنحو العربي، وهي في الوقت نفسه مرحلة التدشين، ابتداء من النصف الثاني للقرن الثامن (750 م)" [42].

يؤسس كارتر اعتباره سيبويه أول نحوي بالمعنى الحقيقي على الاستدلال على غياب تقليد نحوي يمكن أن يكون قد اعتمد عليه. في هذا الخصوص، تتبع كارتر استخدام دلالة كلمتي *نحو ونحويون* في الكتاب. لقد عمل على البرهنة على أن كلمة نحو لم تستخدم للدلالة على فن أو علم النحو -أي كمقابل لمصطلح *Grammar*- قبل القرن التاسع الميلادي. لذلك، يؤكد كارتر أن سيبويه لم يستعمل قط كلمة نحو بمعنى العلم أو الصناعة التي تشكلت بعده، بل قصد به فقط طريقة العرب في كلامهم. وهكذا "يمكن تفسير ظهور معنى جديد للنحو باعتباره انعكاسا لتغير كيفي في المقاربة، [...] أي تبني منهج سيبويه الوصفي لأغراض معيارية وتعليمية. ومن ثم، فإنه يمكن أن يُترجَم النحو كما استُخدِم في الكتاب بالطريقة التي يتكلم بها الناس فعلا" [43].

من جهة أخرى، يعد كارتر أول من حاول إعطاء دلالة جديدة لكلمة *نحويون* التي وردت في الكتاب في سياق البرهنة على أن النحو باعتباره عملا منهجيا مكتملا بدأ مع سيبويه، وليس قبله. يحيل لفظ نحويون في الكتاب على مجموعة من العلماء الذين لم يذكر أسماءهم -وليس ضمنهم شيوخه الذين أخذ

(42) *Ibid*, p.25

(43) Carter, 1985 «When Did the Arabic Word *Nahw* First Come to Denote Grammar? », p 266.

عنهم (الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب)- والذين اختلف معهم في بعض المسائل. ويعتقد كارتر أن لفظ نحويونكما ورد في الكتاب ينبغي أن يربط بدلالة النحو على الطريقة في الكلام، لا على العلم أو الفن. لذلك يزعم "أنه من الصعب أن نشك في أن ما كان يعنيه بـ[كلمة] نحويون الذين يهتمون بطريقة الناس في كلامهم، لكن لم يكن هناك بَعْدُ أي علم للنحو، وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك نحاة بالمعنى التقني" (44).

بهذا المعنى، لم يكن قبل كتاب سيبويه تقليد نحوي يمكن أن يكون قد اعتمد عليه. ويورد كارتر بعض الحجج تدعم هذا الزعم. من ذلك أن سيبويه نفسه عندما قدم إلى البصرة ليتعلم الفقه والحديث، لم يكن هناك حقل للدراسة النحوية قائم بذاته. والاعتبار الثاني أن سيبويه أو كتب الأخبار لم تشر إلى أي كتاب في النحو؛ فلو وُجِدت لم يتردد في ذكرها، خصوصا أنه كان حريصا على ذكر مراجعه. من ثم، يمكن القول "إن *النحويين* يمثلون طورا بدائيا للنحو قبل زمن سيبويه. من جهة أخرى، ينبغي أن نأخذ في الحسبان أنه لا المؤرخون العرب ولا سيبويه نفسه اعتبروا أن النحويين لعبوا دورا مهما في تطور النحو" (45).

نلاحظ إذن أن كارتر اجتهد لكي يمنح سيبويه فضل تأسيس النحو بمعنى الدراسة النسقية للغة العربية. لذلك يرى أن المفهوم التقني للنحو لم يكن موجودا قبل سيبويه؛ وهو أيضا لم يستخدمه بهذا المعنى في كتابه. من ثم "ينبغي أن نستنتج أنه لو كان هناك مثل هذا المصطلح، أو لو كان سيبويه يعلم بأي من الأنشطة (بما في ذلك الإغريقية أو السريانية)، لكان لها صدى الكتاب" (46).

من جهة أخرى، حاول كارتر أن يرد على كل الذين انتقدوا الكتاب واتهموه بالافتقار إلى نسق منهجي وتفسيرات مقنعة، وأخذوا عليه الغموض

(44) Carter, *Sibawayhi*, p 4.
(45) Carter, «The Origins» p.7
(46) *Ibid*, p 8.

والسطحية. وقد ساءه أن يُتَّهَم بأنه أقل حذقا، أو أن موهبته الفكرية أقل من موهبة أستاذه الخليل. لذلك يؤكد أنه "بالرغم من القدرة البارزة للخليل ويونس، وإسهامها المادي في الكتاب، فإنه لم يكن في إمكانهما أن يبنيا النسق النحوي الذي طوره سيبويه" (47)،(48).

3.3. بنية الكتاب: الأصول والمنهج

يكشف النحو العربي عن نسق تحليلي متماسك وقائم على مفاهيم وأدوات واضحة؛ فوصف الظواهر والمعطيات يصدر عن أصول منهجية عامة راسخة وأدوات تحليلية مشتقة منها. واللافت للنظر أن هذه الأصول المنهجية تمثل أساس الوصف الذي قدمه سيبويه في الكتاب، حتى لو لم تكن صريحة كما سيحدث لاحقا. في هذا الخصوص، يؤكد كارتر أن سيبويه كان يملك تصورا واضحا حول كتابه، كما يظهر من طريقة تنظيمه، ومعالجته للمعطيات اللغوية (المتن اللغوي)، والمصطلحات التي يستخدمها.

لعل أحد الجوانب المنهجية في الكتاب ما يتعلق بالمتن اللغوي الذي تعامل معه سيبويه؛ إذ إنه منظم وفق معايير تحدد وضع كل مكونات هذا المتن وعناصره. ومعلوم أن معطيات (شواهد) سيبويه تحوي كلام الأعراب، وأشعار العرب، والقرآن، والحديث، وأمثال العرب، وما اصطنعه النحاة. والملاحظ أن هذه المعطيات/الشواهد مرتبة بحسب درجة طبيعيتها، لذلك يمنح كلام الأعراب درجة أعلى في الحجية.

(47) *Ibid*, p.25

(48) أبدى كثير من الباحثين تحفظا على هذه الصورة التي يرسمها كارتر لسيبويه باعتباره عبقريا يظهر فجأة في بيئة فكرية لم تكن تعرف إلا الإرهاصات الأولى للفكر النحوي. بل إن ما يقوله سيبويه نفسه عن الرواة والشيوخ الذين أخذ عنهم تفند تمثيل الواقع على هذا النحو. في هذا الخصوص، يؤكد رفائيل طلمون أن سيبويه كان ينشط في حقل لم يكن بكرا، وهذا ما تدل عليه الجدالات التي صاحبت الكتاب. وتدل بعض الكتب لنحاة ينتمون للمدرسة الكوفية على وجود تفكير نحوي متقدم قبل سيبويه. لكن هذا لا يمنع من القول إن *الكتاب* يظل أول دراسة نسقية لنحو العربية.

علاوة على دور السماع في استكشاف النسق النحوي وقواعد العرب في كلامها، يشغل القياس موقعا مهما داخل الأصول المنهجية التي يعتمدها سيبويه. فقد نظر سيبويه إلى القياس "كأداة أساسية في تحليل كلام العرب وفي تنظيم المتن المسموع وتقليص الشذوذ إلى الحد الأدنى. وبهذا المعنى، يختلف سيبويه عن النحويين المتأخرين الذين يستخدمون القياس بطريقة نظرية صرف وصناعة بنى مركبة لا يجيزها المتكلمون، أو أداة للحكم على مقبولية الاستخدام اللغوي، وفي كثير من الأحيان رفضه والطعن عليه" (49).

أما فيما يخص المصطلحات المستخدمة في الكتاب، يؤكد كارتر -كما سبقت الإشارة إلى ذلك- أن المصطلحات النحوية التي استخدمها سيبويه في الكتاب تمتح من المجال الفقهي. وأساس ذلك تصوره للغة باعتبارها سلوكا اجتماعيا ينظم وفق معايير أخلاقية. فاللغة بهذا المعنى مجتمع من الكلمات يخضع لقوانين يخضع لها الأفراد في سلوكهم الاجتماعي.

يصدر *الكتاب* إذن، في نظر كارتر، عن منظور واضح للغة باعتبارها نسقا اجتماعية يخضع لقواعد ومعايير أخلاقية تضبط سلوك المتكلمين. وقد عبر سيبويه في هذه الرؤية عن نسق منهجي واضح تجليه أدوات ومفاهيم تحليلية، ومصطلحات تجسد الانسجام الداخلي للنسق النحوي باعتباره مكونا للنسق الفكري الإسلامي العام، وليس عناصر استعيرت من ثقافة غريبة طبقت على اللغة العربية كما يدعي أصحاب فرضية التأثير الأجنبي.

4.3. قراءة الكتاب في ضوء اللسانيات الحديثة

لم يجتذب *كتاب* سيبويه اهتمام الغربيين فقط لكونه أول دراسة نحوية نسقية للعربية، بل لقيمته المعرفية باعتبار منظوره للغة، والأدوات التحليلية التي اعتمدها في معالجة ظواهر اللغة العربية. وهكذا عمل كثير من الدارسين الغربيين إلى إجراء مقارنة بين بعض المفاهيم والأدوات التحليلية التي تضمنها

(49) Baalbaki, *The Legacy of the Kitab*, p 52.

الكتاب وبعض المفاهيم التي اعتمدتها اللسانيات المعاصرة. في هذا الخصوص، كشف ميكائيل كارتر عن بعض الجوانب في القيمة اللسانية للتحليل السيبويهي والعلاقة بين كتاب سيبويه واللسانيات المعاصرة.

لا يتردد كارتر في الكشف عن تصوره لكتاب سيبويه باعتباره نسقا تحليليا تثوي خلفه نظرية واضحة للغة. وهكذا يقرر أن "أول نحو عربي نسقي، كتاب سيبويه، يقدم نمطا من التحليل البنيوي لم يكون معروفا في الغرب حتى القرن 20" (50). وهكذا يعقد كارتر مقارنة بين المقاربة البنيوية المعاصرة للغة والمقاربة التي يمكن استكشافها في ثنايا *الكتاب* لسيبويه. ويجمل كارتر تصوره للعلاقة بين التصور اللغوي الضمني في الكتاب والمنظور البنيوي المعاصر للغة على النحو الآتي:

"بينما يكرس كل النحاة العرب صورة اللغة العربية باعتبارها لغة منطوقة، فإننا نشعر أن هذا الافتراض مبرر تقنيا فقط عند سيبويه: فهو يعالج اللغة المكتوبة كما لو أنها كانت نقلا صوتيا للمنطوق، ويؤسس كل تحليله على فكرة أن الكلام نشاط اجتماعي يقع داخل سياق للمتكلم والمخاطَب. وهذا أمر مهم لسببين: الأول أنه يقتضي أن الكلام يمكن أن يعالج كشكل من السلوك، كنوع من المواضعة الاجتماعي، وثانيا، ونتيجة لذلك، أن المخاطب يقوم بدوره الخاص في تحديد الشكل اللغوي الذي يستخدمه المتكلم" (51).

انطلاقا من هذا التصور، يجمل كارتر المظاهر المعاصرة للتحليل البنيوي في كتاب سيبويه في جملة من العناصر (52):

أ) يعامل سيبويه اللغة كنوع من السلوك الاجتماعي عبر استخدام مفاهيم تقنية استعارها من التحليل الفقهي. لذلك يصح القول إن سيبويه وسع مفهوم

(50) Carter, 1973 «An Arab Grammarian of the Eighth Century A. D.: A Contribution to the History of Linguistics», p 146.

(51) *Ibid*, p.147

(52) Carter,» 1980 Sibawayhi and modern linguistics».

الفعل المقبول ليشمل الكلام المقبول. هذا التصور يذكرنا بالنظرة التي كرستها اللسانيات المعاصرة منذ دي سوسير للغة باعتبارها شكلا من أشكال السلوك الاجتماعي.

ب) يكشف تنظيم أبواب الكتاب (إعراب/ تركيب، صرف، صواتة) عن تصور معين للغة يوافق مفهوم التمفصل المزدوج في اللسانيات المعاصرة. في هذا الخصوص، يشير كارتر إلى "أن الكتاب يتَّبع تماما وبدقة الترتيب الذي يقتضيه مفهوم التمفصلين، وهو طبقات الكلمات، والتركيب، والصرافة، وأخيرا الصواتة" (53).

ج) لكن التحليل التركيبي الذي يتضمنه الكتاب لا يقف عند الخصائص الخطية للسلسلة المنطوقة، بل ينظر في المواقع التي تشغلها المكونات داخل العبارة ووظائفها. وهكذا يمكن، في نظر كارتر، مقابلة مفهوم الموضع عند سيبويه بمفهوم الفئة التوزيعية؛ إذ إن هناك تجليا واضحا للتوزيعية البلومفيلدية في التحليل الذي يتضمنه *الكتاب*.

د) أخيرا يشير كارتر إلى أن *الكتاب* يحوي أمثلة كثيرة لتطبيق مبدأ الجهد الأقل الذي يحكم كثيرا من عمل اللغة البشرية، خاصة في تحليل الظواهر الصوتية.

تشير الأمثلة الكثيرة التي أوردها كارتر في مناسبات مختلفة وأعمال متعددة إلى أن سيبويه وصل إلى نتائج شبيهة بما وصلت إليه اللسانيات المعاصرة، لكن باتباع مناهج وطرائق خاصة تنبني على منظوره للغة. إن الغرض من هذه الموازنة هو أن يوضح "كيف يدين النحاة المتأخرون بالكثير لسيبويه، الذي يظل إلى اليوم المصدر الموثوق للمعطيات الأصلية والكفاية المنهجية. وعندما تقاس أفكاره إلى [أفكار] اللسانيات الغربية المعاصرة سيصبح عمق تحليله وتماسكه

(53) *Ibid*, p.23

واضحا، ملاحظاته وخلاصاته تماثل أغلب تصوراتنا الحديثة، وهذا توافق علمي لا يدل على صلة تاريخية، بل يثبت فقط حقيقة القول القديم إن العقول العظيمة تفكر بالطريقة نفسها" (54).

4. خاتمة

لا شك في أن سيبويه هو أحد صناع الإنسية الإسلامية؛ فكتابه يمثل أحد العناصر التأسيسية للثقافة والفكر الإسلاميين. لذلك ظل خلال قرون يثير اهتمام الدارسين الغربيين الذين خصوه بدارسات تبرز مظاهر العبقرية فيه، لكنها أيضا سعت إلى فهم كثير من الأسرار التي ما تزال تلفه. ويمكن القول إن مايكل كارتر يظل أهم من كَتَب عن سيبويه وكتابه. فهو لا يخفي انبهاره بالكتاب الذي يصدر عن عبقرية فذة مكنته من أن يبدع نسقا نحويا تكرس على مر السنين. ولم ينشغل كارتر بالمنجز خلال أكثر من أربعة عقود لأنه يؤمن بعبقريته ودوره في تأسيس النحو –وهو أمر لم يكن ليتأتى حتى لشيخه الخليل بن أحمد– فقط، بل لأنه يسلط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ النحو العربي. فقراءة كتاب سيبويه تساعدنا على إعادة كتابة مرحلة من العصر التكويني للتقليد النحوي العربي الذي ما تزال جوانب كثيرة منه عصية على التفسير والتحليل.

(54) Carter, 2012 «Forward», *In* Marogy Amal E. (Ed.), p x.

المراجع

- تروبو، جيرار. "نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، ع. 1، 1978م، ص: 125–138.

- الحديثي، خديجة. **كتاب سيبويه وشروحه**، بغداد: مطابع دار التضامن، ط1، 1967م.

- الحديثي، خديجة. **دراسات في كتاب سيبويه**، الكويت: وكالة المطبوعات، ط1، 1980م.

- الحريص، ناصر فرحان. "مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية مع ترجمة بحثه: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية"، **جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها**، ع 19، 2017م، ص: 373–432.

- طلمون، رافي. "نظرة جديدة في قضية أقسام الكلام: دراسة حول كتاب ابن المقفع في المنطق"، **الكرمل**، ع. 12، 1991م، ص: 43–67.

- شاهين، عبد الصبور. **في التطور اللغوي**. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1985م.

- عبد التواب، رمضان. **دراسات وتعليقات في اللغة**. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1994م.

- عمايرة، إسماعيل أحمد. **المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية**. عمان: دار حنين، ط2، 1992م.

- فوك، يوهان. **العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**. ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980م.

- فوك، يوهان. **الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين.** ترجمة وتقديم وتعليق: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش، القاهرة: زهراء الشرق، ط1، 2006.

- Auroux, Sylvain et al. (Eds.) 2000 *History of the Language Sciences*, Vol 1, Berlin: Walter de Gruyter.

- Ayoub, Georgine and Kees Versteegh (Eds.) 2018 *The Development of a Tradition: Continuity and Change*, Leiden: Brill.

- Baalbaki, Ramzi, 2004 *Grammarians and Grammatical Theory in the Medieval Arabic Tradition*, Hampshire: Ashgate.

- Baalbaki, Ramzi, 2008 *The Legacy of the Kitab: Sībawayhi's Analytical Methods within the Context of the Arabic Grammatical Theory*, Leiden: Brill.

- Bernards, Monique 1992 *Establishing a Reputation: the Reception of Sībawayhi's Book*, Doctoral Dissertation, the Radboud University Nijmegen.

- Bernards, Monique 1997 *Changing Traditions: Al-Mubarrad's Refutation of Sībawayh and the Subsequent Reception of the Kitāb*, Leiden: Brill.

- Bernards, Monique 2012 «Pioneers of Arabic Linguistics», In Bilal Orfali (Ed.), *In the Shadow of Arabic: The Centrality of Language to Arabic Culture* pp. 197-220.

- Carter, Michael G. 1972 «Twenty Dirhams' in the Kitāb of Sībawaihi», *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, Vol 35, No 3. Pp. 485-496.

-Carter, Michael G. 1973 «Ṣarf et ḫilāf, contribution à l'histoire de la grammaire arabe», *Arabica*, T. 20, fasc. 3, pp. 292-304.

- Carter, Michael G. 1980 «Sibawayhi and modern linguistics», *Histoire Épistémologie Langage*, T. 2, fasc. 1, pp. 21-26.

- Carter, Michael G. 1981 «The Use of Proper Names as a Testing Device in Sībawayhi's», *Historiographia Linguistica*, Vol.8, N. 2-3, 345–356.

- Carter, Michael G. (Ed.) 1981 *Arab Linguistics: An Introductory Classical Text with Translation and Notes*, Amsterdam: John Benjamins.

- Carter, Michael G. 1985 «When did the Arabic word *naḥw* first come to denote grammar?», *Language & Communication*, Vol. 5, No. 4, pp. 265-272.

- Carter, Michael G. 1990 «Arabic Grammar», In *Religion, Learning and Science in the 'Abbasid Period*, M. J. L. Young et al. (Eds.), Cambridge: Cambridge University Press, pp. 118-138.

- Carter, Michael G. 1994 «Writing the History of Arabic Grammar», *Historiographia Linguistica*, Vol 21, No 3. pp 385-414.

- Carter, Michael G. 1973 «Language and Law in the Ṣāḥibī of Ibn Fāris», *Arabica*, T. 20, fasc. 3, pp. 139-147.

- Carter, Michael G. 2001 «A Missing Link between Law and Grammar, the Intiṣār of Ibn Wallād», *Arabica*, T. 48, fasc. 1, pp. 51-65.

- Carter, Michael G. 2004 *Sībawayhi*, Oxford: Oxford University Press.

- Carter, Michael G. 2007 «The Origins of Arabic Grammar», *In* Ramzi Baalbaki (Ed), *The Early Islamic Grammatical Tradition*, pp: 36-65, Aldershot: Ashgate.

Carter, Michael G. 2012 a. «Forword», *In* Marogy Amal E. (Eds), pp: ix-x.

Carter, Michael G. 2012 b. «The Parsing of Sībawayhi's Kitāb, Title of Chapter 1, or Fifty Ways to Lose Your Reader », *In* Marogy Amal E. (Eds), pp: 101-118.

- Carter, Michael G. 2015 «The Grammar of Affective Language in the Kitāb », *In* Marogy Amal E. and Kees Versteegh (Eds), pp: 36-65.

- Carter, Michael G. 2018 « A Twelfth Century League Table of Arab Grammarians », *In* Ayoub Georgine and Versteegh (Eds), pp: 76-95.

- Coulmas, Florian 2016 *Guardians of Language: twenty Voices Through History*, Oxford: Oxford University Press.

- Dannenfeldt, Karl H. 1955 «The Renaissance Humanists and the Knowledge of Arabic», *Studies in the Renaissance*, Vol. 2, pp. 96-117.

- De Sacy, Silvestre [1904] 1829. *La Grammaire Arabe*, Tunis: Société Anonyme de L'imprimerie Rapide, 3ème édition.

- Goldziher, Ignaz 1994 (trans. Dévényi and Ivaniy) *On the History of Grammar among the Arabs*, Amsterdam: John Benjamins.

- Humbert, Geneviève 1995 *Les Voies de La Transmission du Kitāb de Sībawayhi*, Leiden: Brill.

- Jones, Robert, (translated) 1986. Thomas Erpenius (1584-1624) «on the Value of the Arabic Language». *Manuscripts of the Middle East*, I, pp. 15-25.

- Jones, Robert 1988 *Learning Arabic in Renaissance Europe*, Unpublished Doctoral Dissertation, London University.

- Killean, Carolyn G. 1984 «The Development of Western Grammars of Arabic», *Journal*

- *of Near Eastern Studies*, Vol. 43, No. 3, pp. 223-230.

- Kouloughli Djamel.2005 «Carter, M. G., Sibawayhi», *Histoire Épistémologie Langage*, (27) 2, pp. 182-189

- Larcher, Pierre 2007 «Les origines de la grammaire arabe, selon la tradition:
description, interprétation, discussion», In Everhard Ditters and Harald Motzki (Eds.) *Approaches to Arabic Linguistics*, Leiden: Brill, pp: 113-134.

- Lochon, Christian 2015 «Arabe, Langue D'Europe Depuis des Siècles», URL: https://francesyrie.org/fichiers/rubriques/arabe-2015-langue-d-europe.pdf

- Loop, Jan et al. (Eds.) 2017 a. *The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe*, Leiden: Brill.

- Loop, Jan 2017 b. «Introduction», in Loop, Jan et al. (Eds.), pp. 1-12.

- Marogy Amal E. 2010 a. *Kitāb Sībawayhi: Syntax and Pragmatics*, Leiden: Brill.

- Marogy Amal E. 2010 b «Kitāb Sībawayhi and Modern Linguistics. A Synoptic View of a Complementary Relationship», *Synergies Monde arabe*, n° 7 pp. 29-34.

- Marogy Amal E. (Ed.) 2012 *The Foundations of Arabic Linguistics: Sībawayhi and Early Arabic Grammatical Theory*, Leiden: Brill.

- Marogy Amal E and Kees Versteegh (Eds.) 2015 *Kitāb Sībawayhi: Interpretation and Transmission*, Leiden: Brill.

- Owens, Jonathan 1984. « Structure, Class and Dependency: Modern linguistic theory and the Arabic grammatical tradition», *Lingua*, 64, pp: 25-62.

- Owens, Jonathan 1988. *The Foundations of Grammar: An Introduction to Medieval Arabic Grammatical Theory*, Amsterdam: John Benjamins.

- Owens, Jonathan 1990. *Early Arabic Grammatical Theory: Heterogeneity and Standardization*, Amsterdam: John Benjamins.

- Owens, Jonathan 1997. «The Arabic Grammatical Tradition», In Robert Hertzon (Ed.) *The Semitic Languages*, Oxford: Routledge.

- Owens, Jonathan 2006. *A Linguistic History of Arabic*, Oxford: Oxford University Press.

- Reynolds, Gregg 2011 *Re-imagining the Kitāb of Sībawayhi*, Draft. www.academia.edu/

/32384466gregg_reynolds_re-imagining_the kitab_of_sibawayhi.pdf

- Rousseau Jean 1980» .F. Bopp et la pratique de la grammaire arabe», *Histoire Épistémologie Langage*, tome 2, fascicule 1, *Éléments d'histoire de la tradition linguistique arabe*. pp. 53-66; doi : https://doi.org/10.3406/hel.1980.1053

- Shah, Mustafa 2003 a «Exploring the Genesis of Early Arabic Linguistic Thought: Qur'anic Readers and Grammarians of the Kūfan Tradition», *Journal of Qur'anic Studies*, Vol. 5, No. 1, pp. 47-78. http://www.jstor.org/stable/25728093.

- Shah, Mustafa 2003 b «Exploring the Genesis of Early Arabic Linguistic Thought: Qur'anic Readers and Grammarians of the Baṣran Tradition», *Journal of Qur'anic Studies*, Vol. 5, No. 2, pp. 1-47. http://www.jstor.org/stable/25728108

- Suleiman ,Y. 1989 «On the Underlying Foundations of Arabic Grammar: A Preliminary Investigation», *Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies)*, Vol. 16, No. 2, pp. 176-185. www.jstor.org/stable/195150.

- Talafheh, Amjad, 2003 *La terminologie grammaticale complexe dans le Kitāb de Sībawayhi*, Thèse de Doctorat, Université Lumière Lyon 2.

- Talmon, Rafael, 2000 «Naḥwiyyūn in Sībawayhi's kitāb», *Journal for the Theory of Social Behaviour*, Vol 30, N°.2, p. 12-38.

- Troupeau, Gérard 1963. «Deux traités grammaticaux arabes traduits en latin», *Arabica*, T. 10, Fasc. 3, pp. 225-236.

www.jstor.org/stable/4055067.

- Troupeau, Gérard 1980. «Les arabisants européens et le système grammatical arabe», *Histoire Épistémologie Langage*, tome 2, fascicule 1, *Éléments d'Histoire de la tradition linguistique arabe*. pp. 3-7. doi : https://doi.org/10.3406/hel.1980.1048.

- Versteegh, Kees, 1977 *Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking*, Leiden: Brill.

- Versteegh, Kees, 1980 «Hellenistic Education and the Origin of Arabic Grammar», *Progress in Linguistic Historiography*, E.F.K. Koerner (Editor) Amsterdam: Benjamins, pp. 333-344.

- Versteegh, Kees, 1988 «Pourquoi Etudier la Tradition Grammaticale?», *Le Maroc et La Hollande*, Abdelmajid Kaddour et al. (Eds.), Rabat: Uiversité Mohamed V, pp. 207-2017.

- Versteegh, Kees, 1995 «Western Studies on the History of Arabic Grammar 1969-1994», *Journal for the Theory of Social Behaviour*, Vol 30, N°.2, p. 12-3.